Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وآتصلت غمائمه وغُمَمُه. قد ملكته الهَزّة للظلم، وأخذته العَزَّة بآلإثم. بَسَط يده في المظالم يحَتْقبها، وآلمحارِم يرتكبها، وإذا رأيت ثَمَّ أملاكاً مغَصوبةً ومنهوبة، ورعايا مأْكولةً ومشروبة، وضرائب ضَرَبَت آلأموال بآلتمحيق، والبضائع بالتمزيق. تلك البلاد تلتهب بجمرات ظلمه، وتُنتهب ببدرات غشمه. فآلحُرَم منتهكَة، والرَّعية محتَنكة. رَعيةٌ مدفوعون إلى فقد الرّياش، وضيق المعاش. قد أداَّهم الغلآء إلى والبلآء، والبلآء إلى الجَلآء وآلإضاقة، إلى الفاقة، وصارت الخَصاصة فوضى بين العاَّمة وآلخاصةَّ، أُمرآؤهم عجزةٌ قُعَدة، وكُتاَّبُهم خونة مَرَقة، فآلأعراضُ بينهم منهوكة، وآلأستارُ مهتوكة. وآلدّماء مسفوكة، وآلأموالُ مُجتاحة، وآلديَّارُ مُستباحة، وآلحُرُّ بآلعَرآء منَبوذ، وآلوَغدُ مُكْرَمٌ مَصفود. أُولئك قومٌ رضيعهُم قد غُذي بآلعُدوْان حتى دَبّ، وصبيّهُم رُبِيَّ بآلطغُّيان حتى شب، وشابهُّم قد تدرّب بآلظلم وآلفُسوق حتى شاب، وشيخهم قد أضب عَلَى آلإثم وآلفسُوق حتى آفترَش آلترُّاب. بلادٌ معالم آلحَقّ فيها دُرست، وأَلسِنَة آلعَدْل بينها خَرِست، ورِياحُ آلقتل والنهب هبَّت فلا تركد، وأشخاصُ آلظُّلمْ وآلإثم مَثُلَت فلا تقعد. جعلوا يُغيرون ويُبيرون، ويُثيرون من آلفتِنة ما يُثيرون. لا عن آلدمآء كفُّوا، ولا عن آلفُروج عَفُّوا. ما آلذّئبُ في آلغَنَم بآلقياس إليه إلاَّ من آلصالحين، ولا آلسُّوس في آلصُّوف في آلصيَّف عنده إلاَّ بعض آلمحسنين، ولا آلحَجَّاج في أهل آلعراق معه إلاَّ أَوَّل آلعادلين، ولا فِرعون في بني إسرآئيل إذا قابلته به إلاَّ من آلملائكة آلمُقَرَّبين. ما ترك لرعيَّته فضةً إلاَّ فضهَّا، ولا ذهباً إلاَّ ذهب به، ولا عِلقاً إلاَّ آعتلقه، ولا عَقاراً إلاَّ عَقَرَه، ولا ضيَعْةً إلاَّ أَضاعها، ولا غَلَّةً إلاَّ غَلَّها، ولا مالاً إلاَّ مال عليه، ولا عَرَضاً إلاَّ تعرَّض له، ولا حالاً إلاَّ حال عليها، ولا ماشيةً إلاَّ آمتشهَّا، ولا فرساً إلاَّ آفترسه، ولا سَبَداً إلاَّ آستبدَّ به، ولا بِزّة إلاَّ بزهَّا، ولا خِلعة إلاَّ خلعها، ولا جليلاً إلاَّ اجتله، ولا دَقيقاً إلاَّ دَقَّه.